« حول تعليم الأبناء »

ΠΕΡΙ ΠΑΙΔΩΝ ΑΓΩΓΗΣ

قراءة في أوراق بلوتارخوس

منيرة كروان

بلوتارخوس (٤٦ - ١٢٠ م) واحد من أهم المؤرخين الإغريق الذين عاشوا في بدايات العصر الروماني . ذاعت شهرته بسبب كتاباته التي سجلت حياة العديد من الشخصيات البارزة في التاريخ الإغريقي والروماني Βίοι Παράλληλοι . كما كتب مقالات عديدة تناولت شتى نواحي الحياة سياسياً وفلسفياً ودينياً وأدبياً ، فضلاً عن نظريات تربية الأطفال وتعليمهم ، وقد جمعت كلها تحت اسم Moralia ، ولكنها لم تنل من الشهرة والاهتمام ما نالته كتاباته التاريخية (١) .

وخيرونيا ، التي تقع بالقرب من دلفي ، هي موطن بلوتارخوس حيث تولى لفترة منصب كاهن الإله أبوللون . غير أنه لم يستقر في موطنه فترة طويلة ، وإنما جاب بلاد

(1) Ian Scott - Kilvert : The Rise and Fall of Athens p.7, Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology, s.v. Plutarch.
For more Information see Reginald, H: Plutarch and his Time, New York 1967. Jones. c. p.: Plutarch and Rome, New York 1971, Russell, D.A.: Plutarch, New York 1973.

اليونان كلها طولاً وعرضاً ، كما زار العديد من الدول الأخرى : فقد زار روما حيث تعلم اللغة اللاتينية وحاضر بها ، كما زار مصر وتعرف على العديد من نواحي الحياة فيها .

ولقد استفاد بلوتارخوس من تجواله ومن الحضارات المختلفة التي أتاحت له أسفاره التعرف عليها ، مما أكسبه خبرة وحكمة ، فجاءت نظرته للأمور أعمق وجاء حكمه على الأشيا أصوب ، فكان قادراً على تناول العديد من الموضوعات الشيقة والشائكة ، ومنها ما يزال قيد البحث حتى الآن مثل موضوع تربية الأطفال وتعليمهم والتي كرس لها مقالته Περὶ Παίδων ἀγωγῆς والتي سنلقي بعض الضوء عليها .

لقد اهتم الإغريق والرومان بتربية الأطفال وتعليمهم في إطار اهتمامهم بحضارتهم ، وباعتبار ذلك من الأسس التي أقيمت عليها مجتمعاتهم . فلقد كان أهم ما يميز الإغريق ، كما يلاحظ M. Hadas ، اهتمامهم بتعليم أطفالهم ، فما من مجموعة منهم استقرت في مكان إلا وأقامت فيه مدرسة لتعليم الأطفال . فقد كان التعليم أهم وسائل المحافظة على الهوية الإغريقية ، كما كان أهم وسائل نشر الثقافة الإغريقية في المجتمعات الجديدة التي استقروا فيها [1] .

إن مفهوم التربية والتعليم (Παιδεία) مفهوم موغل في القدم ، ينسبه البعض للغزاة الآخيين ، وقد عكسته ملاحم هوميروس : فأبطال ملاحمه يدركون ما يقتضيه النبل من سلوك ويؤمنون أن السلوك والمهارات التي تليق بالفرسان والنبلاء يجب تعلمها . فنجد فونيكس Φοῖνιξ ، الذي يعتبره بلوتارخوس مثالاً للمرافق ، يعلم اخيليوس كيف يتحدث الحديث المناسب ، وكيف يتصرف التصرف السليم [2] .

(1) Hadas, M:H:Hellenistic Culture, Fusion and Diffusion, Oxford 1959 p.59, Ibrahim M.H: The Study of Homer in Greco - Roman Education, Athens 1977 p.197, Collart p: A1 'ecole avec les petits Grecs d Egypte "Chronique d Egypte 1963, pp. 489 - 90.

(2) Plutarch: Moralia 4, 7 B

ومن أشهر الشخصيات الأسطورية المرتبطة بالتعليم شخصية خيرون (Χείρων) الذي اشتهر بعلمه الغزير وبإجادته للموسيقى والطب والرماية . ولقد علم تلاميذه من البشر كيفية استخدام الأعشاب الطبية ، كما أشرف على تعليم معظم الأبطال الفنون المتحضرة ، فيظهر خيرون في عديد من المصادر الأدبية والأثرية ، وهو يعلم اخيليوس مختلف فنون الرياضة والفروسية ، وكذلك آداب السلوك (١) .

لقد كان الهدف من التعليم في العصر الهومري خلق محارب متميز وبطل ارستقراطي يحسن فنون القتال ، كما يحسن السلوك قولاً وفعلاً (٢) .

ولقد ظل التعليم يحمل ذلك الملمح الأرستقراطي وإن كان قد تأثر بالعوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمعين الإغريقي والروماني .

فقد أدى ازدياد التيار الديمقراطي في أثينا وكثير من المدن الأخرى خلال القرن الخامس ق . م . إلى إتاحة الفرصة أمام أعداد كبيرة من المواطنين الذين لا يتمتعون بنبل المولد أو الثروة لتولي المناصب السياسية والقيادية ، وقد أدى ذلك إلى إفراز نوعية جديدة من التعليم (٣) .

فقد كانت القدرة على الحديث ، والبراعة في الجدل ، وحسن عرض القضايا والقدرة على إلهاب مشاعر الجماهير من أهم العوامل التي كانت تكفل لأي مواطن أن يلمع وأن يتولى أكبر المناصب . فظهرت بعض الاتجاهات التي تعلي من شأن البلاغة في العملية التعليمية ، بل لقد غالى البعض (مثل ايسوقراتيس) فجعل من البلاغة أساساً

---

(1) Homer Iliad X.

(2) Marrou, H. I : Histoire de l ' Education dans l'Antiquite, Paris 1892, pp, pp.32 - 33.

(3) Bowra, C. M.: Ancient Greek Literature p. 193, Davies, J.K: Democracy and Classical Greece p 174, J de Romilly : problemes de la democratie Grecque p.88. cf. Aristoph. Clouds 116 - 118, 1131 - 32, 1077ff.

للتعليم . وبفضل تلك الظروف كانت الريتوريقا هي السلعة الأكثر رواجاً ، ومن اللافت للنظر أنها استمرت كذلك لفترة طويلة حتى بعد زوال الظروف الموضوعية التي أفرزتها [١] .

كما ظلت الريتوريقا متربعة على عرش المواد التعليمية في مرحلة التعليم العالي زمن الامبراطورية الرومانية . وكان تدريب الشباب الروماني على إجادة الحديث من خلال دراسة الريتوريقا هدفه الأول خلق متحدثين محترفين يستطيعون إقامة الدعاوى في المحاكم . كما ساعدتهم دراسة الريتوريقا على صياغة الأحاديث المؤثرة سواء في المجلس التشريعي أو في المناسبات المختلفة التي تتطلب إلقاء الخطب [٢] . حتى لقد أصبح الرجل الفاضل Vir bonus زمن شيشرون هو الذي يملك القدرة على الحديث بغض النظر عن الحقيقة والواقع خاصة في مجال القضايا ورفع الدعاوى [٣] .

ورغم انتشار الأفكار التحررية ورغم المد الديمقراطي فقد ظل التعليم يحمل ذلك الملمح الأرستقراطي ، وهو ما يعكسه مقال بلوتارخوس ، إذ كان التعليم قاصراً على أبناء الطبقات ميسورة الحال ، كما كان التفاوت في مستوى الثراء يقابله تفاوت في العملية التعليمية فيما يتعلق بجوانب متعددة مثل السن التي يبدأ فيها الطفل في تلقي التعليم والسن التي يتوقف فيها عن الدراسة . بل وكذلك في المكان الذي يتلقى فيه الطفل تعليمه .

لقد اختلف الفلاسفة والمفكرون قديماً في تحديد السن التي يجب أن يبدأ فيها

(1) Marrou, H.I: op. cit pp194 - s, J.de Romilly: op. cit p119, Robinson, C.E: Everyday Life in Ancient Greece p142, Andrewes, A: The Greeks p264, The cambridge Ancient History, vol. V, pp 378ff.

(2) Clark, D. L: Rhetoric in Greco - Roman Education p64, Parks, E.p: The Roman Rhetorical schools pp.96 - 7.

(3) Fowler, w.w: Social Life at Rome in the Age of Cicero p191, Clark, D.L: op - cit p64.

الطفل في تلقي تعليمه ، فنادى أفلاطون أن يبدأ الطفل التعليم في السابعة من عمره [١] ووافقه أرسطو طاليس الرأي [٢] . في حين نادى البعض بأن يبدأ الطفل تعليمه مبكراً فنجد خريسبوس الفيلسوف الرواقي (٢٨٠ - ٢٠٧ ق . م) يطالب بأن يبدأ تعليم الطفل في الثالثة من عمره [٣] . غير أن السن التي كان الطفل يبدأ فيها في التعلم لم ترتبط بآراء الفلاسفة والمفكرين بقدر ما ارتبطت بمدى ثراء الأسرة فكان أبناء الأسر الغنية يبدأون تعليمهم مبكراً ، وذلك لمقدرة أسرهم على دفع تكاليف التعليم ، كما كانوا يستمرون في التعليم لفترة أطول [٤] .

فكان أبناء العائلات الثرية يصلون في تعليمهم عادة إلى مرحلة التعليم العالي في حين اكتفى أبناء العائلات الأقل ثراء بمرحلة متوسطة من التعليم [٥] .

ولقد ظل هذا الارتباط بين مقدرة الأسرة مادياً والمدى الذي يناله الأبناء من التعليم قائماً سواء في أثينا إبان القرن الخامس ق . م أو في روما زمن شيشرون وبعده ، وكذلك في مصر في عصر الامبراطورية الرومانية [٦] .

لذلك لم يكن من المستغرب أن يكتفي بلوتارخوس بتخصيص عدة أسطر قليلة من مقالته الطويلة للإشارة إلى اولئك الذين قد يمنعهم فقرهم من الاستفادة بآرائه في التعليم . فهو لا يزيد عن القول بأن الفقراء يستطيعون بقدر الإمكان توفير التعليم الجيد لأبنائهم ، أما إذا لم

---

(1) Plato : Rep. V, 459 - 460, Laws V, 794.

(2) Aristotle : Polit. V, 1336B.

(3) Marrou: H.I: op. cit p 142.

(4) Plato : protag. 326.

(5) Collart, p: op. cit p494.

(6) Marrou, H. I: op. cit p38, Fowler, w.w:op. cit p181, Collart, p: op. cit p493.
انظر أيضاً فاطمة الزهراء هاشم : الروابط الأسرية في مصر الرومانية في ضوء الوثائق البردية من القرن الأول وحتى القرن الثالث الميلادي . رسالة ماجستير غير منشورة ص ٦٠ وما بعده .

يمكنهم ذلك فعليهم أن يستفيدوا بأفضل ما تتيحه لهم ظروفهم السيئة [1] .

πειρατέον μὲν οὖν εἰς δύναμιν τὴν κρατίστην ἀγωγὴν ποιεῖσθαι τῶν παίδων καὶ τοῖς πέπησιν· εἰ δὲ μή, τῇ γε δυνατῇ χρηστέον.

ورغم أن بلوتارخوس لم يخصص سوى تلك الكلمات القليلة للإشارة إلى إمكانية تعليم أبناء الفقراء ، فإنه يعتذر لقرائه لأنه أثقل كاهلهم (ΠαρεΦορΤισαμην) بتلك المشكلة البسيطة .

فالتعليم آنذاك لم يكن حقاً للجميع ، ولم يكن مسئولية الدولة ، وإنما كان مسئولية الأسرة ، لذلك ارتبط بمقدرة الأسرة المادية . كما كان قاصراً على أبناء المواطنين الأحرار .

Τί τις ἂν ἔχοι εἰπεῖν περὶ τῆς τῶν ἐλευθέρων παίδων ἀγωγῆς

ولقد استهل بلوتارخوس مقالته بأنها تدور حول ما يمكن أن يقال عن تعليم أبناء المواطنين الأحرار [2] .

فبلوتارخوس ، من بداية مقالته وحتى نهايتها ، يبدو متسقاً مع قيم مجتمعه ، مسلِّماً بذلك النظام الاجتماعي الذي عرفته بعض المجتمعات القديمة ، ومنها المجتمع الإغريقي والروماني ، ألا وهو نظام الرق الذي تطلب من العبيد مهارات مختلفة لم يكن التعليم والثقافة من ضمنها [3] .

يبدأ بلوتارخوس مقالته " عن تعليم الأولاد " قبل ولادة الطفل . فالطفل كائن حي يتأثر بما يرثه من أبويه من صفات وخصائص كما يتأثر بالبيئة التي ينشأ فيها . لذا

(1) Plutarch : Mor., 8.11f

(2) Ibid : 1.1 A.

(3) Vogt, J: Ancient Slavery and the Ideal of Man, p118.

حرص معظم الذين تناولوا قضية تربية الأطفال على الإشارة إلى دور الوالدين في تنشئة طفل سليم .

ولقد اهتم افلاطون بهذه الجزئية ونادى بأن الأم والأب يجب أن يكونا من الفضلاء وأن يكونا كذلك في عمر مناسبة [1] ، كما نادى ارسطو طاليس بنفس الفكرة [2] .

أما بلوتارخوس فقد وجه حديثه إلى الرجال – باعتبارهم الطرف الذي يتمتع بحرية الاختيار في الزواج – وأهاب بهم أن يحسنوا اختيار أمهات أطفالهم ، وينصحهم بألا تكون لهم علاقات مع الساقطات من النسوة ، لأن الأصل الطيب مفخرة للأبناء طوال حياتهم ، ويستشهد في هذا السياق بأبيات ليوربيديس تقول : « إن الرجل ، حتى وإن كان شجاعاً يصير كالعبد إذا علم أن هناك ما يشين أمه أو أباه » [3] .

δουλοῖ γὰρ ἄνδρα, κἂν θρασύκαρδος τις ᾖ,
ὅταν σύνειδῃ μητρὸς ἢ πατρὸς κακά.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى الحديث التفصيلي عن تربية الأطفال ، فيؤكد أهمية أن تقوم الأم بتغذية ورعاية أطفالها وإرضاعهم بنفسها : [4]

Περὶ δὲ τροφῆς ἐχόμενον ἂν εἴη λέγειν. δεῖ δέ, ὡς ἐγὼ ἂν φαίην, αὐτὰς τὰς μητέρας τὰ τέκνα τρέφειν καὶ τούτοις τοὺς μαστοὺς ὑπέχειν·

(1) Plato : Rep. V, 459.
(2) Aristotle : Polit, 13.
(3) Eurip.: Hipp. 424-5
(4) Plutarch: Mor. 3.5.c.

فذلك هو الوضع الطبيعي الذي هيأت الطبيعة الأمهات للقيام به ، كما أن قيام الأم بإرضاع طفلها يربطهما معاً برباط من الحب والرحمة [١] .

ولقد تزايد الاهتمام بهذه القضية ، فنجد سورانوس Soranus (أوائل القرن الثاني الميلادي) يؤكد في كتابه عن الأمراض النسائية (Gynaecology) أن الأم هي الشخص الوحيد القادر على إرضاع طفلها ، فهي الوحيدة التي يمكنها أن تكرس نفسها لتلك المهمة بإخلاص لا نظير له [٢] .

بل لقد ذهب البعض في تقدير أهمية لبن الأم إلى القول بأن الطفل يرث شخصيته من خلال لبن الأم . ولقد حذر فافورينيس Favorinus الأمهات من التخلي عن أطفالهن للمرضعات أو المربيات ، لأن من تفعل ذلك تخطو به أول خطوة في طريق نسيان حبه لها . ويؤكد أن مشاعر الطفل تتركز كلها حول من يمده بالطعام والحنان ، ويتخذ من التراجيديا دليلاً على صحة قوله وكيف تقوى العاطفة بين بعض أبطال المسرحيات ومربياتهم بينما تضعف علاقتهم بأمهاتهم [٣] .

وقد أدت هذه الآراء إلى ظهور تيار يعارض بشدة استخدام المرضعات كبديل للأم ، ولكن هذه المعارضة على ما يبدو ، لم تؤت ثمارها على أرض الواقع ، بدليل استمرار استخدام المرضعات في أنحاء متفرقة من بلاد الإغريق وفي روما ، وكذلك في مصر في العصرين اليوناني والروماني [٤] .

يرى بلوتارخوس أنه إذا ما عجزت الأم عن العناية بطفلها بمفردها ، فيجب عليها أن تختار من تساعدها في ذلك بمنتهى الدقة .

---

(1) Ibid : 3.5.D

(2) Jackson, R: Doctors and diseases in the Roman Empire pp 88, 102.

(3) Vogt, J: op. cit p 107.

(4) Jackson, R:op. cit p103, Plato: Rep. V460C, Marrou, H.I: op. cit p142, Fowler, w.w: op cit pp 170 - 171.

وأهم الشروط المطلوب توافرها فيها أن تكون إغريقية [١] .

πρῶτον μὲν τοῖς ἤθεσιν Ἑλληνίδας.

ذلك أن عاداتها وأخلاقها سوف تترسخ بعمق في نفوس الأطفال وستظل معهم إلى الأبد . ويذكر بلوتارخوس في هذا السياق الشاعر فوكيليديس والفيلسوف أفلاطون باعتبارهما ممن يشاركونه نفس الاهتمام بأهمية اختيار المربية والشروط الواجب توافرها فيها ، بل والاهتمام بما تقصه المربيات من حكايات وقصص للأطفال [٢] .

وفي الحقيقة لقد طالب أفلاطون بإنشاء هيئة تكون مهمتها الرقابة على الأساطير والحكايات التي يضمها التراث ، تقوم هذه الهيئة بحذف الردئ من هذه الحكايات والقصص وتبقي فقط على الجيد ، كما حث الأمهات والمربيات على قص الجيد والمفيد من هذه الحكايات المنقحة ، حيث أن تشكيل الطفل أخلاقياً يتم في مرحلة الطفولة ، فهي أخطر مراحل تكوين شخصيته ، ومن الممكن أن نغرس ما نشاء من القيم والمثل في نفس الطفل من خلال تلك الحكايات [٣] .

ولقد اهتم أرسطو طاليس أيضاً بهذه القضية وطالب أن تنال القصص والحكايات سواء الواقعية أو الخيالية – التي تحكيها الأمهات والمربيات للأطفال أقصى العناية والاهتمام من المشرفين على تربية الأطفال [٤] .

---

(1) Plutarch : Mor. 3,5,C.

يتفق سورانوس مع بلوتارخوس على ضرورة أن تكون المربية إغريقية ، في حين يفضل Oribasius أن تكون من أصل تراقي أو مصري بينما كان البعض الآخر يفضل الاسبرطيات لأنهن كن يتمتعن بالصحة والقوة .

E. Guhl & W.Koner : The life of the Greeks and Romans, p196, Vogt, J: op. cit pp 105 - 6.

(2) Plutarch: Mor 3.5.F.

(3) Plato: Rep. 11, 377E, Laws 7, 789 A, E.

(4) Aristo : Polit.V.

يهتم بلوتارخوس كذلك بالعبيد الذين يختلطون بالأطفال في سنوات عمرهم الأولى ، ويؤكد أنهم يجب أن يكونوا من الإغريق وأن يمتازوا بوضوح اللغة وسلامة الحديث وأن يكونوا من ذوي الشخصيات السوية ، وذلك حتى لا يفسد الأطفال من ملازمة الأجانب أو ذوي الشخصيات الوضيعة (١) .

ثم ينتقل بلوتارخوس بعد ذلك إلى الحديث عن مرحلة عمرية أكبر ، وهي تلك المرحلة التي تستلزم وضع الصبية من الأطفال تحت مسئولية المرافق (Παιδαγωγός) ، وهنا نلمس مدى الأسى والحزن الذي يشعر به الكاتب لقلة اهتمام بعض العائلات بحسن اختيار المرافقين الذين يعهد إليهم بتربية وملازمة الأطفال . يقول بلوتارخوس أن كثير من العائلات تختار النجباء من العبيد لإدارة شئونها المختلفة من صناعة وتجارة بينما يعهدون لمن لا يصلحون لأي من هذه الأعمال ، أي الفاشلين من العبيد برعاية أطفالهم .

ونظراً لأهمية الدور الذي كان يلعبه المرافق في تكوين شخصية الطفل فقد أهاب بلوتارخوس بالآباء بأن يدققوا في اختيار العبيد الذين توكل إليهم هذه المهمة . إذ يجب ألا يكونوا أسرى حرب أو أجانب ، وأن يمتازوا بالثبات في شخصياتهم (٢) .

Ἐπειδὰν τοίνυν ἡλικίαν λάβωσιν ὑπὸ παιδαγωγοῖς τετάχθαι, ἐνταῦθα δὴ πολλὴν ἐπιμέλειαν ἐκτέον ἐστὶ τῆς τούτων καταστάσεως, ὡς μὴ λάθωσιν ἀνδραπόδοις ἢ βαρβάροις ἢ παλιμβόλοις τὰ τέκνα παραδόντες.

والمرافق (Παιδαγωγός) هو أحد العبيد الثقاه ، كانت الأسرة تعهد إليه بالأطفال . وكانت مهمته متعددة الجوانب : فكان يصطحب الطفل خاصة عند ذهابه إلى

(1) Plutarch: Mor 4.6.A.

(2) Ibid. 4.7.A.

المدرسة وعودته منها ، وذلك لتأمين سلامة الطفل في الطريق ، كما كان يشرف على الجانب الأخلاقي للطفل في مقابل الجانب التعليمي الخالص الذي كان يقوم به المعلم . فعن طريق الاحتكاك اليومي المباشر مع الطفل ، كان المرافق يغرس في نفس الطفل من آداب السلوك ومن القيم والمثل والمبادئ ما يجعل شخصية الطفل تتشكل بطريقة سوية (١) .

ومن ضمن دروس السلوك القويم والتصرف السليم (ευκοσμια) التى كان الطفل يتلقاها على يد المرافق أن يسير في الطريق مطاطي الرأس دليلاً على التواضع ، وأن يفسح مكاناً أثناء السير لكبار السن ، وأن يلتزم الصمت حينما تجمعه الجلسة مع من يكبرونه في السن . كما كان يلقنه دروساً في السلوك المناسب عند تناول الطعام ، بل كان يعلمه أحياناً كيف يختار ملبسه (٢) .

لقد كان المرافق من الشخصيات التي لعبت دوراً هاماً في تربية الطفل وتعليمه في المجتمعين اليوناني والروماني ، حتى أن وجود الطفل قد اقترن في ذهن بعض المفكرين بوجود المرافق ، فلم يتخيلوا طفلاً دون أن يكون بصحبته المرافق . فإن أفلاطون – على سبيل المثال – يقول : " لا يجب أن يعيش قطيع من الحملان من أي نوع دون راع ، وبالمثل لا يجب أن يعيش الصبية دون مرافقين ... والطفل هو أصعب المخلوقات في التعامل معه " (٣) .

ولقد تركت معظم العائلات الإغريقية والرومانية مهمة التعامل مع ذلك المخلوق الصعب للمرافق ، الذي كان في أغلب الأحوال عبداً أجنبياً تتوسم فيه العائلة الإخلاص والوفاء ، وكان في أحيان كثيرة عبداً عجوزاً قد بلغ من العمر ما يجعله عاجزاً عن القيام بالأعمال التي تتطلب مجهوداً بدنياً كبيراً .

(1) Marrou, H. I: op. cit pp 143 - 44, Vogt, J: op. cit p111.

(2) E. Guhl & W. Koner : op. cit pp 196 - 7, Robinson, C.E.: op. cit p 139.

(3) Plato: Laws 7, 808 D

ولقد ارتفعت بعض الأصوات التي تستنكر استخدام الأجانب في هذه المهمة ، ولكن تلك الأصوات ، على ما يبدو ، ضاعت سدى واستمر ذلك الوضع بين معظم الأسر الإغريقية والرومانية وحتى في مصر في العصر اليوناني والروماني [١] .

ولقد احتل بعض المرافقين مكانة خاصة في بعض الأسر وفي نفوس الصبية الذين قاموا بتربيتهم ، حتى غدت القاعدة في كتابة السير الذاتية للعظماء أن تذكر أسماء المربين الذين أشرفوا على تربيتهم في طفولتهم ، فوجدت أسماء مربي ثيموستكليس ، والكبياديس ، والاسكندر واغسطس طريقها في سجلات التاريخ جنباً إلى جنب مع أسماء هؤلاء العظماء ، كما وجد المربون والمربيات مكاناً لهم تحت الأضواء بجانب الأمراء والأميرات [٢] .

ويصل بلوتارخوس في حديثه إلى أهم مرحلة في تعليم الأطفال ، فحين يصل الطفل إلى سن السابعة تقريباً أو أقل من ذلك بقليل ، كأن يبدأ في الذهاب إلى المدرسة أو يأتي إليه المعلمون إلى منزله ، وذلك حسب مقدرة الأسرة المادية [٣] .

حين يصل بلوتارخوس إلى تلك المرحلة فإنه يبدأ حديثه بما يعتقد أنه من أهم جوانب العملية التعليمية وهو حسن اختيار المعلم . وهو ينصح الآباء بأن يختاروا لأطفالهم معلمين تخلو سيرتهم من الفضائح ، وأن يكونوا فوق مستوى الشبهات وأن يتوفر لديهم أحسن مستوى من الخبرة في التدريس .

---

(1) Marrou, H. I: op. cit p144, Fowler, W.W: op. cit p139.

قارن أيضاً د. إبراهيم نصحي : تاريخ التربية والتعليم في مصر . الجزء الثاني ص ٣١ ، وما يليها فتحية حسن سليمان : التربية والتعليم في المجتمعين اليوناني والروماني ، ص ٣٧ .

(2) Vogt. J: op. cit p113.

Cf. Eurip: Alcist. 768FF, Med. 1 FF, Androm. 87FF.

(3) Marrou, H.I: op. cit p142, Robinson, C. E.: op. cit p 139.

διδασκάλους γὰρ ζητητέον τοῖς τέκνοις, οἳ καὶ τοῖς βίοις εἰσὶν ἀδιάβλητοι καὶ τοῖς τρόποις ἀνεπίληπτοι καὶ ταῖς ἐμπειρίαις ἄριστοι

ويأتي بلوتارخوس بتشبيه جميل يوضح فيه الدور الهام الذي يلعبه المعلم في تنشئة الأطفال ، فهو يشبه المعلم بالفلاح الذي يضع العصى بجانب النبت الصغير لكي يستقيم عوده فلا ينمو وهو معوج ، وبالمثل فإن المعلم القدير يبث من القيم والمبادئ في نفس الطفل ما يجعل شخصيته تنمو بشكل سليم (١) .

ولم يكن التعليم حتى تلك الفترة إجبارياً أو خاضعاً لإشراف الدولة – كما سبقت الإشارة – وإنما كان تعليماً خاصاً تتولى الأسرة مسئوليته وتختار لأبنائها من المعلمين ما تشاء وما يتناسب مع قدرتها المادية (٢) .

لذلك يعنف بلوتارخوس الآباء الذين يذهبون في حبهم للمال حداً يبدون فيه كما لو كانوا يبغضون أبناءهم ، فهم يبحثون عمن يتقاضى أقل الأجور بغض النظر عن مقدرته كمعلم (٣) .

---

(١) نلاحظ أنه حتى تلك الفترة كان الغرض من التعليم غرضاً أخلاقياً في المقام الأول ، فهو يساعد الإنسان على أن يكون فاضلاً وخيراً (Καλοικαγαθοi) فبلوتارخوس يرى أن منبع ومصدر الفضيلة والخير أن يتلقى المرء تعليماً مناسبا (Mor. 4.7.C)

πηγὴ γὰρ καὶ ῥίζα καλοκαγαθίας τὸ νομίμου τυχεῖν παιδείας.

(2) Ehrenberg, V: The Greek State, p 83, Ferguson, J: The Heritage of Hellenism p38 Hadas, M: op. cit p64, Davies, J.K: op. cit p 189.

(3) Plutarch: mor 4.7.F

يستشهد بلوتارخوس هنا بالحوار الذي دار بين الفيلسوف Aristippus تلميذ سقراط وأحد الآباء ، فقد سأل الأب الفيلسوف عن الأجر الذي يتقاضاه نظير تعليم ابنه ، أجاب الفيلسوف بأنه يتقاضى ألف دراخمة ، هنا تعجب الأب من ضخامة المبلغ قائلاً إنه يمكنه شراء عبد بهذه الدراخمات الألف ، فرد عليه الفيلسوف قائلاً عندئذ سوف يكون لديك عبدان : ابنك وذلك الذي اشتريته (A . 7 . 5) .

ويحذر بلوتارخوس هؤلاء الآباء من سوء مصير أبنائهم الذين بخلو عليهم بالتعليم السليم . فالتعليم الجيد والتوجيه المناسب هو البداية والنهاية ، وهو الذي يساعدنا في الوصول إلى الامتياز الخلقي والسعادة (١) .

ὅτι ἐν πρῶτον καὶ μέσον καὶ τελευταῖον ἐν τούτοις κεφάλαιον ἀγωγὴ σπουδαία καὶ παιδεία νόμιμος ἐστι, καὶ ταῦτα φορὰ καὶ συνεργὰ πρὸς ἀρετὴν καὶ πρὸς εὐδαιμονίαν φημί.

فبلوتارخوس يؤمن بأهمية التعليم ويقدر قيمته كل التقدير ، فهو يرى أن الثروة ، والشهرة ، والجمال ، ونبل المولد ، والصحة والقوة هي مجرد أشياء زائلة ، أما التعليم وحده فهو الخالد والإلهي (٢) :

παιδεία δὲ τῶν ἐν ἡμῖν μόνον ἐστὶν ἀθάνατον καὶ θεῖον.

لقد كانت مهنة التدريس بصفة عامة لا تلقى الكثير من الاحترام ، وظلت مهنة متواضعة لفترة طويلة ، بل لقد اعتبرها البعض مهنة مزرية ، إذ عير أيسخنيس وابيقور لاشتغال أبويهما بهذه المهنة (٣) .

ولكن بدأت بعض الاتجاهات الجديدة التي تعلي من شأن العلم وتقدر المعلمين في الظهور والانتشار ، فارتفعت مكانة العلم والعلماء وأحاطتها هالة من القدسية والتبجيل . فحينما يكون التعليم ميزة خاصة لا يستوي في تلقيها الناس جميعاً ، وإنما ينعم بها من تدرب لسنوات عديدة يمر خلالها بمراحل شتى من المعاناة تصهره وتعيد تشكيله – مثلما

(1) Ibid 5.8.D.

(2) Ibid 5.8.E.

(3) Marrou, H. I: op. cit p145.

يحدث لأتباع متلقي الأسرار الدينية – فإنه من الطبيعي أن يحاط العلم وأهله بتلك الهالة من القدسية والتبجيل (١) .

لذلك يقول إيسوقراتيس أن من يجرؤ على أن يهين المعلمين والفلاسفة فهذا خليق بالاشمئزاز منه مثلما نشمئز ممن يخطأ في حق الآلهة (٢) .

كما اكتسب القول الشائع (إن سعة العلم مفتاح الخلود) قوة أكبر ، وبات من المسلم به – وليس من قبيل المبالغة – أن التعليم هو ضمان الخلود ، كما تدل على ذلك كلمات بلوتارخوس نفسه . ولقد تم اكتشاف عدد ليس بالقليل من شواهد القبور التي تصف المتوفي بأنه رجل علم (μουσῖkos ἀνήρ) ، ومن ثم فإن ربات الفنون (Μοῦσαι) تحميه وترعاه في العالم الآخر . كما بدأ بعض المفكرين يتصورون أن الملذات التي سيسعد بها الأخيار في العالم الآخر سوف تكون في المقام الأول ملذات ثقافية تمتع المفكرين والمتعلمين بشكل خاص ، فسوف ينعم هؤلاء بالرقص والموسيقى والشعر ومناقشات فلسفية وأدبية لا نهاية لها (٣) .

ورغم تقديره الشديد للعلم وإشاراته الدائمة لقدسيته ، فإن بلوتارخوس ينبه الآباء والدارسين إلى أهمية التمييز بين الطيب والخبيث من العلم ، ويهاجم بعنف ذلك النوع من التعليم الذي كان يتهافت عليه كثير من الشباب سواء في أثينا أو في روما والذي كان يعتمد على إتقان ذلك النوع من الأحاديث والخطب التي تلهب مشاعر العامة بغض النظر عن صدق هذه الأحاديث وعن الإعداد المسبق لها من جانب المتحدث . ويضرب بلوتارخوس مثلاً ببركليس وديموستينيس – وهما من كبار رجالات الدولة في أثينا – فقد استحثتهما الجماهير أكثر من مرة لإلقاء خطبة دونما إعداد مسبق لكنهما اعتذرا ولم

(1) Davies, J. K: op. cit p 174.

(2) Isocrates: Panathenaikos 15, 256 - 7.

(3) Hadas, M: op. cit p 70.

يقلل اعتذارهما عن إلقاء خطبة دونما إعداد من مكانة أي منهما [1] . لذا يقدم بلوتارخوس نصيحة مهمة للنشء بألا يقول أو يفعل شيئاً بصورة ارتجالية أو دون تفكير وروية [2] .

καλὸν γάρ τοι
μηδὲν εἰκῇ μήτε λέγειν μήτε πράττειν,

وليس معنى ذلك أن بلوتارخوس يعارض تماماً أن يكون الشاب قادراً على الحديث الارتجالي ، لكنه يرى أن ذلك يرتبط بشرطين : الأول أن يكون الشاب قد وصل إلى سن الرجولة ، والثاني أن تستغل هذه المهارة الاستغلال السليم ، فهي كالدواء يجب أن تستخدم بحرص [3]

το δὲ δεῖν παντάπασιν
ἀποδοκιμάζειν τῶν λόγων τὴν ἑτοιμότητα ἢ πάλιν
αὖ ταύτην οὐκ ἐπ' ἀξίοις ἀσκεῖν οὐ φαίην ἂν ἔγωγε,
ἀλλ' ὡς ἐν φαρμάκου μοίρᾳ τοῦτο ποιητέον ἐστί.
μέχρι δὴ τῆς τῶν ἀνδρῶν ἡλικίας οὐδὲν ἐκ τοῦ
παρατυχόντος ἀξιῶ λέγειν, ἀλλ' ὅταν τις ῥιζώσῃ
τὴν δύναμιν, τότε τοῦτον τῶν[3] καιρῶν καλούντων
ἐλευθεριάζειν τοῖς λόγοις προσήκει.

وهي نفس الفكرة التي تناولها شيشرون في خطبته " دفاعاً عن كايليوس " (pro caelio) . فهو أيضاً يعتقد أن القدرة على الحديث يجب أن تستخدم بحذر ومن أجل

(1) Plutarch: Mor 6.9.D.
(2) Ibid. 6.9.C.
(3) Ibid. 6.9.E.

غايات سامية ، وأن يكون من يستخدمها نزيها وأمينا ، وإلا صارت نقمة : " لقد توصلت بعد تأمل طويل إلى رأي مؤداه أن الحكمة بدون فصاحة اللسان والقدرة على الحديث ليس لها فائدة تذكر للدولة ، بينما تكون الفصاحة والقدرة على الحديث دون حكمة ذات خطر أكيد وليس لها فائدة على الإطلاق . لذلك فإن أي شاب يهجر دراسة المنطق ويقضي وقته في التدريب على إجادة الحديث ، يصبح عائقاً أمام تطوره الذاتي ، كما أنه يصبح خطراً (على الدولة) " (١) .

ولقد اهتم كل من بلوتارخوس وشيشرون بتلك المسألة لأنها كانت قد أصبحت ظاهرة لا يمكن إغفالها نتجت عن تحول مناهج التعليم العالي – سواء في أثينا أو روما أو حتى في مصر اليونانية الرومانية – إلى دراسة الريتوريقا بصورة أساسية على حساب الفلسفة والمنطق (٢) .

ولقد كان التعليم قديماً ينقسم إلى ثلاث مراحل : المرحلة الأولى ويتعلم فيها الطفل القراءة والكتابة (γράμματα) وبعض مبادئ علم الحساب (٣) ، والتدريبات البدنية (γυμναστική) وكانت تشغل حيزاً متميزاً في مناهج التعليم اليوناني (٤) ، وكانت تتم على يد مدرس متخصص يسمى معلم التربية الرياضية (παιδοτρίβης) وذلك في مدرسة الألعاب الرياضية (παλαίστρα) (حيث كان الجيمانزيوم يخصص

(1) Cicero: Pro Caelio 3174.

(2) Clark, D.L: op. cit p98, Fowler, W.W: op. cit p 70, The cambridge Ancient History vol. V, p164, pp 378FF.

(٣) كان الأطفال في البداية يتعلمون الحروف الأبجدية بترتيبها الصحيح ثم بترتيب معكوس ، وبعدها يتدربون على قراءة المقاطع ثم قراءة وكتابة كلمات كاملة ثم ينطلقون بعدها إلى النصوص . وكانت أولى مراحل التعليم تعتبر ناجحة إذا ما تمكن الطفل من القراءة والكتابة بسهولة . أما بالنسبة للحساب والهندسة فلم يتعد الأمر أكثر من معرفة بعض المسائل في الأوزان والكسور والأطوال والأحجام وبعض التعريفات الهندسية .

د. محمد حمدي إبراهيم : المرجع السابق ص ٢٠٧ .8 - 497 Coll p:op. cit pp

(4) E. Guhl & W. Koner : op. cit pp 212 - 13, Marrou, H. I: op. cit p40.

لتعليم البالغين) . كما كان الأطفال يدرسون في تلك المرحلة بعض مبادئ الموسيقى ، وكانوا في بعض الأحيان يدرسون أصول الرسم كذلك لتنمية القيمة الجمالية عندهم [١] .

ويدرس الطالب في المرحلة الثانوية أو الوسطى ثلاث مناهج رئيسية : المواد الأدبية والعلوم الرياضية والريتوريقا . وكان يتولى التدريس في تلك المرحلة معلم النحو (γραμματικός) وتستمر بها الدراسة نحو ست أو سبع سنوات [٢] .

والمرحلة الثالثة هي مرحلة التعليم العالي وكانت تستمر إلى ما بعد العشرين ، وفيها يختار الطالب بين دراسة الريتوريقا أو الفلسفة ، فكان معظم الدارسين يتجهون إلى دراسة الريتوريقا لأنها كانت تؤهلهم للقيام بدور بارز في الحياة العامة ، وكانت وسيلتهم لتقلد أكبر المناصب الإدارية والسياسية [٣] فقد كانت الريتوريقا حينئذ السلعة الأكثر رواجاً وظلت لفترة طويلة تجذب ادارسين بعيد عن دراسة الفلسفة ، لما كانت تعطيه لدارسها من قدرة على الحديث والإقناع والسيطرة على قلوب وعقول المستمعين ، سواء بالحق أو بالباطل تشهد بذلك تلك البردية التي عثر عليها في مصر وتقول : " بوسعي (أي الريتوريقا) أن أهب للمحتاج الفقير ثراء ، وللمفتقر إلى الحكمة إكليلاً من الفضيلة ، وللدارس نجاحاً وتقدماً ، وللمغمور جاهاً ومنصباً ، ولدارس العلم مرتبة سامية ، وللرياضي اللاعب صيتاً وشهرة " [٤] .

---

(1) Aristo: polit 1337 b. cf Hadas, M: op. cit p 63.

(2) Clark, D. L: op. cit p60, see also. د. محمد حمدي إبراهيم : المرجع السابق ص ٢١٠

(3) J. de Romilly: op. cit p88, Andrewes, A: op. cit p264, Marrou, H. I: op. cit p192.

(٤) د. محمد حمدي إبراهيم : المرجع السابق ص ٢١٨ .

وكان ذلك بمثابة انتصار لايسوكراتيس [١] على أفلاطون الذي كان يؤمن بأن الفلسفة لا تحقق صلاح الفرد فقط ، وإنما فيها صلاح الكون كله [٢] . كما جعلها بلوتارخوس أساس العملية التعليمية في مرحلة التعليم العالي . ويرى بلوتارخوس أن الطالب يجب أن ينال قسطاً معيناً من المعرفة في كافة العلوم سواء عن طريق السمع أو المشاهدة أو بكليهما معاً . أما الفلسفة فيجب أن يكون لها مكان الصدارة (Τηνδε ØiλοσοØίαν ΠρεσΒευειν لأن فروع العلم المختلفة – كما يقول – ليست سوى ظلال للفلسفة ليس لها قيمة في حد ذاتها ، لذلك يجب أن نجعل الفلسفة على رأس كل تعليم وفي مقدمته [٣] .

" διὸ δεῖ τῆς ἄλλης παιδείας ὥσπερ κεφάλαιον ποιεῖν τὴν φιλοσοφίαν."

وذلك لأن الفلسفة هي الدواء الوحيد لعلاج الروح إذا ما مرضت [٤] .

" τῶν δὲ τῆς ψυχῆς ἀρρωστημάτων καὶ παθῶν ἡ φιλοσοφία μόνη φαρμακόν ἐστι "

---

(١) كان ايسوكراتيس (٤٣٦ – ٣٣٨ ق . م) معلماً للريتوريقا ، والخطابة السياسية . وقد افتتح في أثينا أول مؤسسة دائمة للتعليم العالي في العلوم الإنسانية ، وذلك حوالي عام ٣٩٣ ق . م . وكتب عدة مؤلفات أسهمت في توضيح ماهية الحضارة الإغريقية ، وساعدت في جعل الريتوريقا حجر الأساس في التعليم القديم .

لمزيد من المعلومات عن ايسوكراتيس ودوره في التعليم ، انظر :

Isocrates : Oration, 3 vols; trans by George Norlin, New York 1945, George, k: The Art of Persuasion in Greece, New York 1963, Mahaffy, J.P: AHistory of Classical Greek Literature p19, J.de Romilly: op. cit p119.

(2) Plato: Rep. V474, V 486.

(3) Plutarch: Mor 7, 10 D.

(4) Ibid. 7, 10 D.

ويؤكد بلوتارخوس أهمية الفلسفة في حياة الأفراد بقوله أنه من خلال الفلسفة يمكن تمييز الحق من الباطل ، الصالح من الطالح ، ما يجب أن نأخذ به وما يجب أن نتجنبه ، فهي التي تحدد للإنسان شكل علاقته بالآلهة ، وبالوالدين ، بكبار السن ، بالقوانين ، بالغرباء ، بالمسئولين ، بالأصدقاء ، بالنساء والأطفال وحتى بالخدم [١] .

" διὰ γάρ ταύτην ἐστι καὶ μετὰ ταύτης γνῶναι τί τό καλὸν, τί τὸ αἰσχρόν, τί τὸ δίκαιον τί τὸ ἄδικον, τί τὸ συλληβδην αἵρετον, τί το φευκτον. πῶς θεοῖς πῶν γονεῦσι πῶς πρεσβυτέροις πῶς νόμοις πῶς αλλοτρίοις πως νόμοις πως αλλοτρίοις πως ἀρχουσι πῶς φίλοις πως γυναιξὶ πῶς τέκνοις πῶς οἰκέταις χρηστέον ἐστί."

كما أنها تعلم الإنسان ألا يبالغ في فرحه لنصر حققه ، وألا يبالغ كذلك في حزنه لكارثة ألمت به ، وألا يستغرقه طلب الملذات ، وألا يشتط في غضبه وثورته [٢] .

وبعد الإفاضة في توضيح أهمية دراسة الفلسفة ، يعود بلوتارخوس إلى تناول جوانب أخرى في العملية التعليمية ، فيقرر أنه من الضروري أن يحصل النشء على أعمال السابقين ويحرص على اقتنائها ، وذلك حتى يتمكن من أن ينهل العلم من منابعه [٣] .

كما يهتم بلوتارخوس بالبدن قدر اهتمامه بالعقل ، وهو يوصي الآباء ألا يغفلوا التدريبات الرياضية في تنشئة أبنائهم ، فالقوة البدنية والصحة هي ذخيرتهم عند الكبر

(3) Ibid 7, 10 D.

(4) Ibid. 8, 10 D.

(5) Ibid. 8, 10. B

. لذلك يطالب الآباء أن يهتموا بإرسال أبنائهم إلى المدربين الرياضيين قدر حرصهم على تحصيل الجانب العقلي العلمي .

وعلى ما يبدو فإن بلوتارخوس يؤكد أهمية الرياضة كرد فعل لإهمال بعض الاتجاهات التعليمية لها ، فبظهور السوفسطائيين ، نبذ التعليم طابعه القديم الذي كان يعد الشباب لخدمة وطنه في الحرب والسلم ، وذلك بإعداده بدنياً وتدريبه على عد من المهارات التي تفيده في حالتي السلم والحرب ، وتحول التعليم إلى اهتمام بحت بالعقل والمهارات العقلية . وليس معنى ذلك أن التدريبات البدنية اختفت بصورة نهائية من العملية التعليمية لكنها توارت وقبعت في خلفية تلك العملية (١) . لذلك يحاول بلوتارخوس أن يعيد إليها مكانتها القديمة كجانب مهم في التعليم ، لكنه ينصح الشباب بعدم الإكثار أو الإفراط في التدريبات البدنية حتى لا يصاب بالإرهاق (٢) .

يأتي بلوتارخوس بعد ذلك إلى مناقشة بعض الأسس التربوية العامة التي يرى أن يأخذ بها الآباء والمهتمين بتعليم النشء في مراحله العمرية المختلفة . وأهم الأسس التي يطرحها :

١- أن تعليم الأبناء وتوجيههم إلى الطريق القويم يجب أن يتم بالتشجيع والفهم وليس بالضرب والمعاملة السيئة (٣) .

Κἀκεῖνό φημι, δεῖν τοὺς παῖδας ἐπὶ τὰ καλὰ τῶν ἐπιτηδευμάτων ἄγειν παραινέσεσι καὶ λόγοις, μὴ μὰ Δία πληγαῖς μηδ' αἰκισμοῖς.

(1) Marrou, H. I: op. cit p.59.

(2) Plutarch: Mor. 8, 11, C, D.

(3) Ibid. 9, 12. A.

فبلوتارخوس يؤمن أن الضرب لا يليق بأبناء الأحرار ÷ الذين يكتب من أجلهم مقالته – وإنما هو خليق بالعبيد . ويوضح تأثير الضرب على نفسية الأبناء بقوله أنهم يصبحون عديمي الإحساس ويشعرون بالفزع تجاه واجباتهم المدرسية ، وذلك بسبب الألم الذي يسببه لهم الضرب ، وكذلك إحساسهم بالذل والمهانة من ذلك النوع من العقاب (١) .

ويطرح بلوتارخوس " المديح والتأنيب " كبديل " للضرب والمعاملة السيئة " ، فالمديح ἐπαινοι يحث الأبناء على اتباع كل ما هو نبيل ، في حين أن التأنيب ψόγοι يبعدهم عن كل ما هو مشين . لكنه – مع ذلك – ينبه إلى أهمية توخي الحرص في استخدام التأنيب والمديح : إذ يجب أن يستعملا بالتناوب وبعدة طرق ، كما يجب ألا نسرف في استخدام أي منهما حيث أن الكثير من أيهما مضر (٢) .

٢– لا يجب الضغط على الأبناء وتحميلهم ما لا يحتملون من الواجبات . فقد لاحظ بلوتارخوس أن بعض الآباء ، نتيجة حبهم الشديد لأبنائهم ورغبتهم في أن يكونوا من المتفوقين يلقون عليهم من الأعباء ما يعجزون عن القيام به ، مما يكون له أخطر الأثر في نفوسهم ، فهم يشعرون بالفشل والإحباط حينما يفشلون في تحصيل ذلك الكم الهائل .

وهنا يشبه بلوتارخوس العقل بالنبات : فكما ينمو النبات بكمية معتدلة من المياه ، بينما تجعله الكميات الكبيرة من المياه يختنق ويموت ، كذلك فإن العقل ينمو ويتطور بكم مناسب من المعلومات ، أما الكميات الكبيرة من المعلومات والواجبات الزائدة عن المعقول فتجعله يرتبك ويتشتت .

---

(١) توضح محاورة بروتاجوراس لأفلاطون أن قدراً كبيراً من العنف والضرب والإيذاء البدني كان يستخدم في ذلك العصر مع الأطفال .

Plato: Protag. 326.

cf: Bowra, C.M.: classical Greece.

(2) Plutarch: Mor. 9.12.A.

لذلك يؤكد بلوتارخوس على أهمية أن نعطي وقتاً للراحة من عناء الواجبات المتلاحقة ، فالراحة تعطي للعمل مذاقاً (١) .

συνελόντι δ' εἰπεῖν ἡ ἀνάπαυσις τῶν πόνων
ἐστὶν ἄρτυμα.

ومن الجدير بالملاحظة أن كلاً من الإغريق والرومان قد ربطوا بين الدراسة والراحة بل أن كلمة المدرسة في الإغريقية (σχολή) تعني وقت الفراغ أو الراحة ، كما أطلق الرومان على المرحلة الأولى من التعليم لفظ (Ludus) وهو يعني اللهو أو اللعب ، ولقد تأثروا في ذلك المصطلح بالفكرة الإغريقية ، فقد كان الربط بين تحصيل العلم والاستمتاع بفترة راحة ربطاً منطقياً بالنسبة للإغريق (٢) .

٣- يطالب بلوتارخوس الآباء بمتابعة أبناءهم لمعرفة مدى ما يحصلونه من علم على أيدي مدرسيهم . فقد لاحظ بلوتارخوس فشل بعض الشباب في الدراسة رغم وجود المعلم الكفء ، وعزى ذلك الفشل إلى انشغال الآباء ، وعدم متابعتهم لدراسة أبناءهم . وهو يقول في هذا الصدد أن المعلمين ليسو سوى أشخاص مأجورين لا يهمهم سوى تحصيل أجورهم لا مدى استفادة الأبناء منهم ، ويأتي بلوتارخوس بمثل يحث به الآباء على متابعة تعليم الأبناء ومدى تحصيلهم ، وهو : " لا شئ يجعل حصان (الملك) سميناً سوى عينا الملك " (٣) .

οὐδὲν οὕτω παίνει τὸν ἵππον ὡς
βασιλέως ὀφθαλμός.

(1) Ibid. 9.13.C.

(2) Plato:Laws 643 bc, Hamilton, E: The Greek way p.25, Clark, D. L: op. cit p61.

(3) Plutarch: mor. 9.13.D.

وفي الحقيقة ، لقد كان انشغال الآباء بالأمور العامة من الظواهر الاجتماعية التي عانت منها الأسرة سواء في أثينا أو في روما . فقد عاش الرجال في مدينة أثينا كل حياتهم تقريباً خارج المنزل ، وقد جعل هذا منهم مواطنين صالحين غير أنهم لم يكونوا آباء مثاليين (١) كما قضى عدد كبير من رجال الرومان سنوات عديدة بعيداً عن أسرهم في فرق الجيش التي كانت تقوم بحملات خارجية لمد النفوذ والسيطرة الرومانية إلى أجزاء مختلفة من العالم . وحتى إذا كان البعض منهم قد أقام في روما فقد كانت مشاغله العامة تبعده عن حياته الخاصة وعن الاهتمام بأبنائه (٢) ، لذلك يهيب بلوتارخوس بالآباء أن يقتنصوا من مشاغلهم العامة وقتاً يتابعون فيه أبنائهم وألا يتركوا أمر تعليمهم للمعلمين دون متابعة منهم .

٤– يطالب بلوتارخوس المشرفين على العملية التعليمية بالاهتمام بتنمية ذاكرة التلاميذ من خلال المادة التي يتلقونها . وسواء كان التلميذ ضعيف الذاكرة أو قويها فيجب الاهتمام بالذاكرة وتدريبه على تنميتها ، فالذاكرة القوية لا تفيد التلميذ في حياته العلمية فقط ، وإنما تفيد الإنسان في حياته كلها ، فلاشئ – كما يقول بلوتارخوس يماثل الذاكرة في قدرتها على الإبداع والخلق ، ولم يكن علم الأساطير بمخطئ حين جعل الذاكرة أم ربات الفنون (٣) .

Πάντων δὲ μάλιστα τὴν μνήμην τῶν παίδων ἀσκεῖν καὶ συνεθίζειν· αὕτη γὰρ ὥσπερ τῆς παιδείας ἐστὶ ταμιεῖον, καὶ διὰ τοῦτο μητέρα τῶν Μουσῶν ἐμυθολόγησαν εἶναι τὴν Μνημοσύνην, αἰνιττόμενοι καὶ παραδηλοῦντες ὅτι οὕτως οὐδὲν γεννᾶν καὶ τρέφειν ὡς ἡ μνήμη πέφυκε.

(1) Plato: Laches 179C, Marrou, H.I: op. cit p.31.

(2) Carp, T. : " Two Matrons of the Late Republic "in Reflections of Women in Antiquity, p.346., Fowler, W.W.: op. cit pp. 180 - 181.

(3) Plutarch: Mor. 9.13. E.

٥- ينبه بلوتارخوس الآباء إلى ضرورة الاهتمام بالمفردات التي يستخدمها أبنائهم ، وأن يحرصوا على ألا تدخل أي كلمة بذيئة في حديثهم ، فالكلمة البذيئة تقودهم إلى الفعل البذيئ ، إذ أن الكلمة هي ظل الفعل كما قال ديموكريتس (١) .

" λόγος γὰρ ἔργου σκιή "

ثم يتوجه بلوتارخوس بحديثه للشباب فيقدم لهم بعض النصائح التي تنفعهم في حياتهم العلمية والعملية منها أن تعودوا على الحياة البسيطة ، وأن يمسكوا ألسنتهم لحظة الغضب ، وأن يكونوا عفيفي اللسان والأيدي . ويضرب على كل من هذه الخصال بعض الأمثلة التي تبين أهميتها ، ولكنه يعطي قول الصدق مكاناً مميزاً بين جميع الخصال ، فالصدق ، عند بلوتارخوس ، هو أقدس المبادئ التي يجب أن نربي عليها الأبناء (٢) .

Παρὰ πάντα δὲ ταῦτα, ὅπερ ἐστὶν ἱεροπρεπέστατον, ἐθίζειν τοὺς παῖδας τῷ ταὐληθῆ λέγειν·

٦- وبعد شئ من التردد يتناول بلوتارخوس موضوع " عشق الغلمان " وذلك من خلال سؤال يطرحه : هل يجب السماح للغلمان بالاختلاط بمحبيهم τοὺς ἐρωτας وقضاء أوقاتهم معهم ؟ أم يجب أن يبتعدوا عنهم تماماً ، وألا يختلطوا بهم ؟ (٣) .

وقد يثار تساؤل عن العلاقة بين عنوان مقالة بلوتارخوس هذه وبين الحديث عن موضع عشق الغلمان . وتكمن إجابة هذا التساؤل في طبيعة المجتمع الإغريقي ، وفي

(2) Ibid. 9.14. F.

(3) Ibid. 11. 14. C.

(4) Ibid. 11. 15. E.

تصور الإغريق لدور الأسرة كوحدة اجتماعية ، وفي تصورهم لدور الأم في تربية وتعليم الأطفال ، وكذلك في نظرة المجتمع آنذاك للنساء ودورهن بصفة عامة بالإضافة إلى وجود ظاهرة الشذوذ الجنسي كظاهرة سلوكية لم تعد تلقى استغراباً في ذلك المجتمع (١) .

لقد كان دور الأسرة الإغريقية محدوداً في تعليم الأطفال ، فلم يتعد دور الأم الإنجاب ورعاية الطفل حتى سن السابعة تقريباً ثم تخرج مسئوليته بعد ذلك من بين يديها ، أما الأب – فكما سبقت الإشارة – كان مشغولاً بمسئوليته كمواطن أكثر من انشغاله بمسئوليته كأب .

وإذا كانت المدرسة – تعاونها الأسرة – هي المنوطة بتربية وتعليم الأطفال في الوقت الحالي فقد كان من المعتاد في هذا العصر أن تقوم علاقة صداقة قوية ووثيقة بين الغلام ورجل يكبره في السن ، يتخذه الغلام نموذجاً ومثالاً يحاول أن يحذو حذوه ، ويستفيد من علمه ومن خبرته في الحياة ، ومن هنا اعتبر عشق الغلمان (Παιδεραστια) أكمل شكل من أشكال التربية والتعليم في تلك المجتمعات (٢) . إذا كان للتعليم حينئذ تصور أشمل مما هو عليه الآن ، فقد كان يشمل الروح والجسد ، ولم يكن مجرد عملية عقلية بحتة (٣) .

ولقد حاول أفلاطون أن يفرق بين نوعين من العلاقة يربطان بين الشباب في مرحلة المراهقة وكبار السن ، وأكد أنه من الممكن أن تربط بين الطرفين علاقة حسية أو علاقة روحية (٤) . ويشير يوربيديس إلى تلك العلاقة الروحية بقوله : " إن هناك نوعاً آخر من الحب بين البشر ، ذلك هو حب الروح ، وهو الحب المشروع الصحيح الفاضل " (٥) .

(1) Dover, K.J: "Classical Attitudes to sexual behaviour" pp.65 - 67, Bowra, C.M. Greek Experience pp. 28 - 30.

(2) Marrou, H. I: op. cit p.31.

(3) Ehrenberg, V: The Greek State p.99.

(4) Plato : Rep. III. 403.

(4) Eurip: Frag. 388 - Poetarum scenicorum Graecourm.

ἀλλ' ἔστι δή τις ἄλλος ἐν βροτοῖς ἔρως,
ψυχῆς δικαίας σώφρονός τε κἀγαθῆς.

وقد سار بلوتارخوس على نهجيهما ففرق بين هذين النوعين من العلاقة ، ثم خرج بنتيجة مؤداها أنه يجب إبعاد اولئك الرجال الذين يجذبهم الجمال الحسي الخارجي عن النشء تماما ، أما من يعشقون الروح فيسمح لهم بالاختلاط معهم دون تحفظ (١) .

τοὺς μὲν οὖν τῆς ὥρας ἐπιθυμοῦντας ἀπελαύνειν προσῆκε, τοὺς δὲ τῆς ψυχῆς ἐραστὰς ἐγκρίνειν κατὰ τὸ σύνολον.

لكن ذلك بالطبع لا يعني أن العلاقة التي يسمح بها بلوتارخوس بين الشباب ومحبيهم كانت قاصرة على الجانبي الروحي العقلي ، إذ كانت العلاقات المنتشرة حينئذ خاصة بين كبار الفلاسفة والشعراء والفنانين وبين تلاميذهم تشمل عادة الجانب الحسي والروحي معاً (٢) .

٧- يطالب بلوتارخوس الآباء بزيادة الاهتمام بأبنائهم خاصة في فترة المراهقة ، لأن الآباء الذين لا يراقبون أبنائهم بالقدر الكافي تلك الفترة يبدون - على حد قوله - وكأنهم يعطونهم تصريحاً بالخطأ . كما يلوم الآباء الذين يهتمون بأطفالهم بطريقة مبالغ فيها في الصغر ثم يكفون عن الاهتمام بهم في فترة المراهقة ، بالرغم من أن أخطاء الأطفال عادة ما تكون هينة أما أخطاء الشباب فكثيراً ما تكون مدمرة . وهو ينصح

(1) Plutarch: Mor. 11. 15. F.
(2) Marrou, H. I: op. cit p. 33.

الآباء أن ينوعوا أساليبهم في مخاطبة الشباب في تلك السن الخطرة ، فيجب أن يوجهوهم إلى الطريق القويم ، وأن يضربوا الأمثلة لمن دمرتهم شهواتهم من ناحية ولمن حققوا السمعة الطيبة والنجاح بسبب استقامتهم .

ويؤكد بلوتارخوس للآباء أن " الأمل في التقدير " و " الخوف من العقاب " من الوسائل الناجحة للتعامل مع الشباب في تلك الفترة ، فالأول يجعل الشباب أكثر تشوقاً لاتباع الطريق القويم في حين يجعلهم الثاني ينفرون من السلوك الوضيع (١) .

δύο γαρ ταῦθ' ὡσπερεί στοιχεῖα τῆς ἀρετῆς ἐστιν, ἐλπίς τε τιμῆς καὶ φόβος τιμωρίας· ἡ μὲν γὰρ ὁρμητικωτέρους πρὸς τὰ κάλλιστα τῶν ἐπιτηδευμάτων ἡ δ' ὀκηροὺς πρὸς τὰ φαῦλα τῶν ἔργων ἀπεργάζεται.

كما ينصحهم أن يبعدوا أبنائهم عن أصحاب السوء لأنهم بالقطع سوف يتأثرون بهم وسوف ينقلون لهم بعضاً من سوء خلقهم .

٨- يختتم بلوتارخوس ملاحظاته في مجال التربية والتعليم بنصيحة يوجهها للآباء تدل على سعة أفقه وعمق تجربته الإنسانية ، فهو ينصح الآباء أن يسلموا ببعض العيوب أو أوجه النقص في أبنائهم . ويخاطب الآباء بقوله أننا نتحمل بعض عيوب أصدقائنا ونتغاضى عنها ، فكيف لا نتحمل تلك العيوب من أقرب الناس إلى قلوبنا ونتغاض عنها (٢) . ثم ينهي مقاله بنصيحة قيمة يوجهها للآباء بأن يكونوا المثل والقدوة لأبنائهم فهذا يجعلهم يقتنعون بكل ما يأمرونهم به وينتهون عن كل ما ينهونهم عنه .

(1) Plutarch : Mor. 12. 16. D.

(2) Ibid. 13.18.E.

هذه قرائتنا لأوراق بلوتارخوس " عن تعليم الأبناء " .. وقد خرجت من هذه القراءة أسئلة تطرح نفسها بإلحاح عن مغزى هذه المقالة ودلالتها ، إذ أن بعض أفكار بلوتارخوس كانت من الذكاء بحيث نالت الإعجاب ، كما كانت بعض أفكاره الأخرى قاسية بمعاييرنا المعاصرة ، بالدرجة التي جعلتها نوعاً من الصدمة .

وبغض النظر عن مشاعر الإعجاب أو أحاسيس الصدمة ، فإننا سنحاول في هذه الخاتمة أن نسبر غور هذه الأوراق لنعرف هل كانت تعبيراً عن حقيقة تاريخية معاشة ؟ أم كانت نوعاً من الأدب ينشد تحقيق المثل العليا في مجتمعه ؟ وبعبارة أخرى : هل كانت آراء بلوتارخوس انعكاساً لواقع المجتمع آنذاك أم كانت نوعاً من التطلع لما ينبغي أن يكون في مواجهة واقع لم يرض عنه ؟

إن قراءة مقال بلوتارخوس تكشف عن أنها كانت مزيجاً بين هذا وذاك ، إذ تتوافق أفكاره تماماً مع واقع مجتمعه عندما يرفض حق العبيد في التعليم دون مناقشة فلسفة التعليم الأرستقراطي الذي يحرم الفقير حق التعليم . كما أنه أهمل تعليم البنات فجاء موقفه تجسيداً لرؤية مجتمعه للبنات باعتبارهن كائنات لا تحتاج إلى تعليم أكثر من بعض التوجيهات التي تساعد على إعدادهن ليكن ربات بيوت ، ولم يكن تعليم البنات يتعدى مرحلة تعلم مبادئ القراءة والكتابة في أحسن الأحوال .

بيد أن بلوتارخوس ، من ناحية أخرى ، كان مجدداً ، إذ طرح أفكاراً تحاول تغيير الواقع (وشاركه آراءه تلك نفر قليل من الفلاسفة) فقد كان من رأيه أن تقوم الأم بإرضاع أبنائها والعناية بهم نظراً للنتائج الإيجابية التي تنشأ عن ذلك من حيث تنمية مشاعر الود والرحمة من ناحية وتنشئة الطفل تنشئة سوية متوازنة من ناحية أخرى .

كما كان من رأيه توخي الدقة والحرص في اختيار الحكايات التي تحكي للأطفال باعتبارها المدخل الأول لدنيا الثقافة وعالم المعرفة بالنسبة للطفل ، كما اعتقد بأن تلك الحكايات والقصص يمكن أن تكون وسيلة تربوية تعليمية ذات غاية عملية من حيث غرس

القيم والمثل العليا في نفوس النشء . كذلك عارض بلوتارخوس استخدام الخدم والمربين الأجانب فـــي رعاية الأطفال بسبب التأثيرات السلبية على أخلاقيات الأطفال وعلى لغتهم .

ومن خلال معارضته للضرب والإيذاء البدني في تربية الأطفال ، قدم لنا بلوتارخوس تحليلاً نفسياً رائداً في جانب هام من جوانب تربية الأطفال وتعليمهم . كما طالب الآباء بأن يهتموا بالمفردات التي يستخدمها أطفالهم ، وذلك لإيمانه بوجود علاقة وثيقة بين الكلمة والسلوك ، كما حث الآباء على تنويع أساليب تعاملهم مع أبنائهم مشدداً على عدم قصر اهتمامهم على مرحلة الطفولة ، مطالباً إياهم بأن يركزوا على مرحلة المراهقة التي تحتاج لقدر أكبر من اهتمام الآباء نظراً لخطورتها .

ولقد آمن بلوتارخوس أن علاقة الآباء بالأبناء علاقة جدلية فيها التأثير والتأثر المتبادل ، إذ أن الطفل كائن حي يتأثر ببيئته ، كما يتأثر بالصفات الوراثية ، بيد أنه كائن يقبل التوجيه وخير وسيلة للتوجيه في رأيه أن يكون الآباء قدوة لأبنائهم .

لعل ما سبق يكشف عن مدى أهمية مقالة بلوتارخوس هذه ، وكيف أن بعض الآراء التي تضمنتها ما تزال صالحة لخدمة عملية التربية والتعليم حتى وقتنا الحاضر .

قائمة المصادر والمراجع

اولا: باللغات الاجنبية :

ا- المصادر :

Aristotle : Politics, With an English trans. by H. Racham (Loeb classical Library)

: Rhetorics 3 vols. with a commentary by E.M. cop. Cambridge University Press.

Cicero : Pro Caelio. With an English trans. by R. Gardner (Loeb classical Library).

Homer : Iliad 2 vols. trans. and ed. by A.T. Murray (Loeb classical library).

Plato :

: Republic Vol. 1, trans. by A. Shorey (Leob classical Library).

: Laws vol. II. trans. by R.G. Bury (Loeb classical Library).

: Protagoras : vol. IV. trans. by W.R.M. Lamb (Loeb classical Library).

: Laches : vol. IV. trans. by W.R.M. Lamb (Loeb classical Library).

Plutarch : Moralia. with an English trans. by F.C. Babbitt (Loeb classical Library).

G. Dindorfii , : Poetarum Scenicorum Graecorum. Aeschyli, Sophocles, Euripidie et Aristophanis Fabulae Superstites et perditarum Fragmenta. Ex. Recognite G. Dindorfii.London (N.D.).

ب- المراجع :

Andrewes, A. The Greeks. The History of human society. London 1967 (Hutchinson of London).

Bowra, C.M.:

Greek Experience. Oxford 1961 (Weidenfeld and Nicolson).

Classical Greece. Oxford 1971 (Weidenfeld and Nicolson).

Ancient Greek Literature. Oxford 1959. (Oxford Univ. Press).

Carp, J.: "Two Matrons of the Late Republic" in Reflection of women in Antiquity edit by H.P. Foley. New York 1986 (Gordon and Breach).

Cambridge Ancient History. vol. V. Athens 478 - 401 B.C. edit by T.B. Bury, S.A. Cook. (Cambridge Univ. Press), 1958.

Collart, P.: "A l'ecole avec les petits Grecs d'Egypte" chronique. d'Egypte 1936, pp. 489-507.

Clark, D.L.: Rhetoric in Greco Roman Education. New York 1959. (Columbia Univ. Press).

Davies, J.K.: Democracy and Classical Greece. London 1978 (Harvester Press Sussex).

Dictionary of Greek and Roman Biography and Mythology: S.V. Plutarch.

Ehrenberg, V.: The Greek State. London 1969 (Methuen and Co.).

Ferguson, J.: The Heritage of Hellenism. London 1973 (Thames and Hudson).

Fowler, W.W.: Social life at Rome in the Age of Cicero. London 1973 (Macmillan and Co.).

George, K.: The Art of Persuasion in Greece. New York 1963. (Gordon and Breach).

Guhl E. & Koner, W.: The life of the Greeks and Romans. Described from Antique Monuments. trans. by F. Hueffer. London (N.D.) (Chatto and Windus).

Hadas, M.: Hellenistic Culture, Fusion and Diffusion. Oxford 1959.

Hamilton, E.: The Greek Way. New York 1963. (Time Reading Program).

Ibrahim, M.H.: "The Study of Homer in Graeco - Roman Education". Athens 1977.

J. de Romilly : Problemes de la democratic Greque. Paris 1975 (Collection Savoir).

Jones, J.C.: Plutarch and Rome. New York 1971.

Mahaffy, J.P.: History of Classical Greek Literature. Vol. II, Part II, (The prose writers from Isocrates to Aristotle). London 1904 (Macmillan and Co.).

Marrou, H.I.: Historie de l'Education dans l'Antiquite. Paris 1992.

Jackson, R.: Doctors and diseases in the Roman Empire. London 1988 (British Museum Press).

Parks, E.P.: The Roman Rhetorical Schools. Baltimore 1945.

Reginald, H.: Plutarch and his Times. New York 1971.

Roger, J.: Women in Athenian law and life. London 1991 (Routledge classical studies).

Russell, D.A.: Plutarch. New York 1973.

Robinson, C.E.: Everyday life in Ancient Greece. Oxford 1933.

Vogt J.: Ancient Slavory and the Ideal of Man. trans. by J. Wiedemans. London 1965 (Macmillan and Co.).

ثانياً: باللغة العربية :

د. إبراهيم نصحي : تاريخ التربية والتعليم في مصر . الجزء الثاني .
الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة : ١٩٧٥ .

د. محمد حمدي إبراهيم : « الثقافة والتعليم في مصر في العصر الروماني »
الجمعية المصرية للدراسات التاريخية . القاهرة ١٩٨٧ .

فاطمة الزهراء هاشم : الروابط الأسرية في مصر الرومانية في ضوء الوثائق البردية
من القرن الأول وحتى القرن الثالث الميلادي .
رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ، ١٩٩١ .

فتحية حسن سليمان : التربية في المجتمعين اليوناني والروماني .
دار نهضة مصر للطبع والنشر . القاهرة .